فتاة طليعية ...

قصة بقلم عادل آدم

– أبي .. أرجو أن تسمعني .. أنا آسفة .. آسفة جدا اذ أخالف رغبتك ولكن .. أنا أحبه .. وسوف اتزوجه .. حقا ليس هو بالرجل الذي يبدو مناسبا لي .. ولكن أرجو أن تحاول فهمي يـا أبي .. ان لم أتزوجه فلن أتزوج قط ..

اجل .. هكذا يجب ان احدثه .. ارجوه .. كفتاة مطيعة تـود الحصول على موافقة ابيها .. ولكن علي ان اشعره في ذات الوقـت باني مصرة على رأيي واني لن اتردد في مخالفته لو رفض .. اكاد اتخيل ما سيحدث بيننا .. كلمة .. كلمة .. حتى حركات يديه ونظرات عينيه المليئتين بالاستنكار والغيظ .. اكاد اراه واقفا امام عيني يـلوح بيـده غاضبا هادرا .

– انت لا تتغيرين .. دائما تسيرين في الاتجاه الخاطىء .. لقـد تحملت كثيرا .. ولكن لن اسمح لك .. لن اسمح لك ابدا ان تحطي من قدري الى هذه الدرجة .. من حسان هذا الذي ترغبين فـي الزواج منه ؟ هل يقارن بواحد ممن تقدموا اليك خاطبين ؟.. اطباء ومحامـون وتجار كبار .. ترفضين كل هؤلاء كي تتعلقي بشاب « هلفوت » اسمـه حسان يعمل بشهادة متوسطة ؟

يا الهي ! ابي غاضب .. ينتفض من الغضب .. وتنفـر عروق رقبته وكأنها على وشك الانفجار .. يدلني غضبه علي اني اسير فـي الاتجاه الصحيح .. رأيته مرات عديدة يثور مثل هذه المرة ..

اذكر يوم قررت الالتحاق بكلية الهندسة .. بذل جهده كي يحولنا عن هذا الطريق .. واخذ يوجه الي النصح كي اتجه الى كلية اخرى .. ولكن .. انه لا يفهمني .. هو يتصورني فتاة عادية مثـل الباقيات .. اذهب الى المدرسة واتخرج بعد ذلك من كلية البنات .. اجيد الطبخ واعمال التدبير المنزلي والتريكو .. هو يتصور ذلك ولا يدرك ان لـي طموحي الخاص .. لي اماليَ الكبيرة .. في الواقع لست كالاخريات ..

كل هذا العمر الذي عشته مع ابي ورغم ذلك فهو لا يفهم طباعـي جيدا .. انني ابحث عن الصعوبات .. تستهويني الطـرق المسدودة .. تجذبني اذا امتلأت بالاشواك والصخور .. فهي المحك الوحيد للصلابـة والعزم وقوة الارادة .. والذي حدث انني دخلت كلية الهندسة ايـام كانت معقلا للرجال .. كان البعض ينظرون الـي كمجنونة ، والبعض يرونني فتاة طليعية .. بطلة ..

ابي لا يرضى عن تصرفاتي .. يقول ان التحدي صفة بارزة فـي اخلاقي .. وانني ان لم اجد من اتحداه .. تحديت نفسي .

ربما كان ذلك صحيحا .. ولكن ليس الامر بهذه البساطـة .. اذ يجب ان يكون للمرء ما يشغله .. ما يغنيه ويستغرقه .. ما اهمية لـو التحقت بكلية البنات .. ومئات الفتيات يرصعـن جوانبها .. مـاذا يميزني عنهن ..؟ هو يظنني فتاة مستهترة .. ولكني طموحة ابحث عـن البطولة .. في أي مكان وبأي وسيلة .. يشوقني ان افعل ما يعجز عنه الاخرون .. والا فما اهمية الانسان .. وبأي شيء يتميز عن غيره ؟..

وحين تقدم لي من تقدم من الخطاب .. رفضتهم .. بالطبع .. كان احدهم طبيبا شابا .. لديه كل ما تتمناه امرأة .. واخر .. كان محاميا بارزا .. واخرون .. ولكن اية قيمة ! انهم يقدمون لي حبهم ومالهم .. وحياتهم .. ثم بعد !.. ما دوري انا ؟

أتلقى الحب وانجب الاطفال واضيع حياتي في تفاهات نسائية ... واتحول الى زوجة عادية خاملة ؟

لست كذلك ..

غضب ابي ووصفني بالمجنونة .. وسألني ان كنـت افضل شخصا ما .. فنفيت ذلك .. وفي الحقيقة لم يكن احد قد خطر ببالي .. ولـم اكن قابلت حسانا بعد .

حسان موظف صغير فقير .. ناقص الثقافة .. لن يرضى به ابي .. فأبي غني وله منصب كبير في احدى المصالح الحكومية .. لذلك فانـا متأكدة انه سوف يرفض حسانا .. وسيرى انه أقل مني مستوى وثقافة .. ولكني احبه .. لا بد ان يقتنع أبي .. سأفهمه .. أستـدر عطفـه ليوافـق على هذا الزواج .. حسان هذا لن يعرفه أبي بعـد سنـوات قليلة .. سأجعل منه شيئا اخر .. سأحوله بحبي وعزيمتي الى انسان جديد .. سألحقه بالجامعة منتسبا .. وسنتعـاون معـا .. لسنـا في حاجة الى معونة احد .. سنعيش على مرتبنا الضئيل .. نتغذى علـى الحب ونعيش له .. حتى ينهي دراسته وينال شهادته العليا .. حسان هذا الذي تنظرون اليه باحتقار لن تعرفوه ، ولكـن انتظـروا .. سوف يتحول الى طاقة متوهجة من الحماس .. انه خامل المظهر ولكن اعطوني بعض الوقت ، سأخلق منه كائنا اخر .. كائنا رقيقا وسيمسي مثقفا .. وسأتيه فخرا به وبمركزه وبثقافته .

ابي لا يفهمني .. سيرفض الاستماع الي .. وصديقاتي سيعتبرنني مجنونة .. ولكن كم من المرات عجز ابي عن فهمي ! وكم مـن المرات اعتبرتني صديقاتي مجنونة .. سأتوجه الان الى ابي .. سأحدثـه .. وكلما أوغل في غضبه ، اوغلت بدوري في اصراري وتصميمي ..

.... – ابي .. مساء الخير .. لقد زارك احد الشبان بمكتبـك اليوم .. اجل يا ابي انا التي دفعته لمقابلتك .. ابي لا تغضب مني .. انا اعرف انه ليس بالشخص الممتاز .. ولكن .. انني احبه .. واصر على الزواج منه .. انه فقير .. ناقص الثقافة .. ولكن انتظر .. سوف يصبح انسانا اخر ..

– ولكن هل تحبي هذا الشخص يا ابنتي .؟ اعني هل تحبينه حقا؟

– دون شك يا ابي .. كيف تظن انني اقبل الزواج من رجـل لا احبـه !

وحان الوقت كي يثور ثائره .. ليس بعد .. ما زال هادئا يكظـم غيظـه .

– انت تعرفين يا ابنتي انني لا ابغي سوى اسعـادك .. ومـا دمـت تحبين هذا الشاب فلك ان تتزوجيه .. انني موافق .. مبروك

ويتقدم ليطبع قبلة على جبيني .. يا الهي !.. ماذا حدث للدنيا.. ابي وافق بهذه البساطة .. لم يرفض .. لم يغضب .. لـم ينفجر هادرا كالبركان .. يحاول ان يحمي كرامته من الضياع .. اذن فلـم يكن مشروع زواجي بذى اهمية كبيرة في نظره .. ليس ثمة بطولة ..

يا ربي .. كيف وافق ابي ان اتزوج من شخص يقل عني مركـزا ومستوى .. كيف رضي لابنته ان تقترن حياتها بشخص تافه صعلوك .. لن اتزوجه .. مؤكد انني لن اتزوجه !

القاهرة

عادل آدم